

عالمية الأدب الإسلامي

د. عبد الباسط بدر

العالمية، كلمة لها بريق خاص في الأدب والنقد، فهي صفة يتباهى بها - حتى الغرور - الأديب الذي يوصف إبداعه بها. وحلم تسعى إليه أمم عدة، لأنها في أبسط دلالاتها شهادة للإبداع الأدبي بنوع من التميز والتفوق، واستيعاب التجربة الإنسانية العامة، التي تتجاوز الحدود الجغرافية، وربما تتجاوز الزمان أيضاً إلى كل زمان ومكان. فالنص الذي ينجح في مخاطبة وجدانات بشرية متعددة المشارب، ومتعددة البيئات والظروف، ويؤثر فيها، هو نص يستبطن التجربة الإنسانية المشتركة بين هذا القدر الهائل من الناس، ويقف على شاطئ الحقيقة (الوجدانية) المطلقة. ولأنها أيضاً الطريق إلى مكاسب معنوية - وربما مادية أيضاً - هائلة.

ومكسباً تتحقق من ورائه مكاسب كثيرة.

وتتحقق العالمية للأدب عندما ينتقل - بطريق الترجمة غالباً، وبلغته الأم أحياناً - من المجتمع الذي أبدع فيه إلى مجتمعات أخرى، وينتشر فيها متجاوزاً الحدود الجغرافية والسياسية واللغوية، فمثلاً يمكن أن نقول عن أدب شكسبير إنه بلغ مرتبة العالمية؛ لأنه تُرجم إلى معظم لغات العالم، وقرأته شعوب كثيرة بلغاتها المحلية - فضلاً عن الأفراد المتميزين في تلك الشعوب الذين قرؤوه بلغته الأم - فالعالمية هنا هي عالمية الشيوخ والانتشار، وتكون بعد مرحلة الشيوخ المحلي عادة، وتتدخل فيها عوامل خارجية كثيرة، منها الظروف السياسية والحضارية للأمة، والجهود التي تبذلها في نقل آدابها إلى الآخرين، وقد استطاعت كل من انكلترا وفرنسا أن تنشر آدابها في المجتمعات التي سيطرت عليها في القرن الميلادي الماضي وشر من

لذا تجتهد بعض الأمم في تحقيق أكبر قدر ممكن من العالمية، وتبذل في سبيل ذلك جهوداً ضخمة، فتقوم بترجمة غرر أعمالها الأدبية إلى لغات الشعوب الأخرى، وت عقد الندوات والمؤتمرات، وترعى الكراسي الجامعية التي تدرّسها في الآفاق، وتنفق عليها، وتهتم اهتماماً فائقاً بالأدباء من غير أبنائها، الذين يكتبون أعمالاً أدبية بلغتها، وتغمرهم بالجوائز السخية، وأقرب الأمثلة إلينا فرنسا، التي تسعى عبر (الفرانكفونية) لتمد ظلالها الأدبية إلى الجهات الأربع، فتنشئ - أو تعزز - روابط نفسية بين أكبر قدر ممكن من الشعوب تتمحور حول المبادئ والقيم التي تتبناها، وتحقق لها - من ثم - مكاسب سياسية واقتصادية لا تحصى.

وهكذا تصبح عالمية الأدب - على المستويين الفردي والأُممي - هدفاً ترتبط به أهداف أخرى،

القرن الحالي، كما استطاعت أمريكا أن تشر قدرًا من آدابها بفضل الجهود والترجمات المكثفة التي تقوم بها، أو ترعاها، مؤسساتها الثقافية المختلفة، فلا يكون تميز التجربة الإنسانية وتفوقها السبب الوحيد في عالميتها، وقد يكون مستواها الفني دون المستوى الفني بكثير لأعمال في المجتمعات المستقبلية، ولكن هذه لم تنهيا لها وسائل التوصيل والترويج.

بين الانتشار والجودة:

وثمة نوع آخر من العالمية لا يقتصر على عالمية الانتشار، بل يتجاوزها إلى عالمية الإبداع أيضاً، فتجد التجربة الإنسانية بملاحمها الرئيسية تتكرر في مجتمعات مختلفة اللغات والظروف، وتجد النصوص الأدبية تجتمع على موضوعات ومضامين، وعلى ألوان من الاستقاء والتأثر، وعلى صياغات متقاربة - إن لم تكن متماثلة - للصورة الفنية، فتصبح الأعمال الأدبية التي تتصف بهذه الصفات فصولاً متنوعة في كتاب كبير واحد. وتبني من مجموعة العناصر المتماثلة كياناتاً أدبيةً عالمياً، يحس به ويتذوقه المتذوقون في كل مكان يصل إليه، فيحسون أنه يخاطب وجداناتهم ويؤثر فيها، وكأنه صدر عنها أو أنشئ لها. وهذا اللون من العالمية - في يقيني أقوى وأعمق من عالمية الانتشار وحدها، وهو اللون الذي يتميز به الأدب الإسلامي.

فعالمية الأدب الإسلامي تبدأ من مرحلة

عالمية الأدب الإسلامي تبدأ من مرحلة الإبداع والتجويد

الإبداع وتزدهر فيها، وتخضع في مرحلة الشروع لعوامل سياسية وثقافية تجعلها بين مد وجزر.

ذلك أن الأدب الإسلامي ينتجه كل مجتمع مسلم، أيا كانت لغته وجغرافيته، وأحواله السياسية... ينتجه أدباء مبدعون في تلك المجتمعات، امتلأت وجداناتهم بوهج الإيمان، واستوت نظراتهم للحياة من خلال رؤى الإسلام، وتفاعلوا مع الأحداث التي واجهوها في مجتمعاتهم بتلك الرؤى، وأبدعوا أعمالاً أدبية بلغاتهم المحلية، وبرؤى إسلامية تتغلغل في موضوعاتها، أو مضمونها - وفي عدد من أدواتها الأسلوبية - إسلامية كاملة، لا يمنعها انتقالها من لغتها الأم إلى لغات أخرى من أن تؤثر في القارئ المسلم أياً كانت بلده ولغته، وأن تهز وجدانه، فيحس بها وكأنها ولدت لتخاطبه، وأن الانفعالات التي تحملها جزء من الانفعالات التي يتلجلج بها صدره، وأنها جسر متين بينه وبين الأديب الذي أبدعها، وأنها - من ثم - لبنة في بناء عالمي كبير، تتجاوز فيه لبنات أخرى من هذا المجتمع وذاك. في تناسق وتناغم كاملين.

فالأديب المسلم التركي أو الفارسي أو الهندي أو الأندونيسي... إلخ، عندما يكون مؤمناً ملتزماً بإسلامه عقيدة وفكراً ومنهج حياة، يتعامل مع

انتشار الأدب الإسلامي يرتبط بمواهل تجهله بين مد وجزر

أحداث مجتمعه من خلال إسلامه، وتتجه عواطفه وفق المؤشرات الإيمانية، وتحمل تجربته الأدبية انفعالاته الإيمانية بتلك الأحداث، وتصوغها في عمل أدبي إسلامي، يتذوقه ويتأثر به كل متذوق مسلم يطلع عليه ويفهمه، وهذه حقيقة واقعة في آداب الشعوب الإسلامية غير العربية كلها. ففي كل أدب من تلك الآداب أعمال أدبية ذات صبغة إسلامية واضحة، أبدعها أدباء مسلمون ملتزمون بإسلامهم يتفاعلون مع الأحداث من زاوية إيمانية، وإذا انتقلت هذه الأعمال إلينا بالترجمة - أو بلغتها الأم إذا كنا نعرف تلك اللغة - أحسنا بأن التجارب التي تحملها جزء من تجاربنا، والانفعالات التي تموج بها تلامس أعماق قلوبنا، والقضايا التي تعرضها هي بعض اهتماماتنا.

وأقرب الأمثلة لدينا الآداب الفارسية والتركية والأردية.. التي تشكلت بعد انتشار الإسلام في أرضها تشكلاً جديداً تأثرت فيه بالإسلام، بل وتأثرت حتى بالتراث العربي الذي اطلع عليه بعض الأدباء والمثقفين فيها.

وسنعرض نماذج من آداب الشعوب الإسلامية المختلفة في آسيا وأوروبا وأفريقيا تمثل كماً هائلاً من النصوص يكمن في تلك الآداب، وننظر في مدى قابليتها لتكون لبنة في بناء الأدب الإسلامي

العالمي، الذي يخاطب وجدان المسلم أياً كان زمنه ومكانه ولغته. ونبدأ بالأدب الفارسي:

الأدب الإسلامي في اللغة الفارسية:

من المعلوم أن الأدب الفارسي بدأ مرحلة جديدة تماماً بعد انتشار الإسلام في إيران، ذلك أن لغة الأدب قبل الفتح الإسلامي كانت (الفهلوية)، فحلت محلها منذ منتصف القرن الثالث الهجري اللغة (الدريّة) التي نهضت في رعاية من كانوا ذوي لسانين عربي وفارسي، وفي ظل الإمارات الفارسية التي قامت في العصر العباسي: إمارات الطاهريين والصفويين والسامانيين ثم الغزنويين ومن يليهم، وترك الإيرانيون خطوطهم القديمة التي كانوا يستخدمونها في كتابة لغاتهم - وغالباً ما كانوا يستعبرونها من الآشورية والآرامية - فاستبدلوا بها الخط العربي لأنه أيسر كتابة وأكثر وضوحاً^(١). وقد تأثر الشعر الفارسي بالشعر العربي من جهة، وبالقيم الإسلامية من جهة أخرى، تأثراً كبيراً في جميع مناحيه الشكلية والمضمونية، تأثر به في عروضه وفي صوره البيانية وفي معانيه، واستمد عدد من الشعراء موضوعاتهم من القصص القرآنية وصنعوا منها قصصاً شعرية مختلفة، وجنح بعضهم إلى صوفية مغرقة بينما ظلت قصائد المديح والحكمة والوعظ أقل جنوحاً وتطرفاً، وظهرت المعاني الإسلامية في معظم ذلك الشعر، وراجت ملاحم شعرية تاريخية، منها (ما اتخذ مادته من الدين الإسلامي مثل «ظفر نامة» لحمد الله مستوفي

هريقت دماء أولاد عم المصطفى
على تلك الأرض، حيث كان السلاطين
يضعون الجبين

بعد هذا لا ينبغي أن تؤمل الراحة في الدنيا
يبقى القار في الخاتم حينما يفصل منه الفص
ماء دجلة دم منذ الآن، كلما انسابت في منحدره
جعل من نخيل البطحاء عجيناً من الدم
عبس وجه البحر من هذا الحدث الأليم
 وآية ذلك ما على وجهه من قطوب الموج
على أن وجه الإسلام وطريق الرحمة داعيهما
أن يحترق قلب المحبين على فراق الأعزاء
لا يليق النواح على دم الشهداء
 فأقل سعادة لهم هو الخلد في عليين
فانتظر حتى الغد، حيث يوم العدل والقيامة

...

ولا يقتصر الأدب الإسلامي الفارسي على
الأدباء الذين عاشوا في إيران، بل يتعدى إيران إلى
البلاد المجاورة التي اتخذت اللغة الفارسية لغة لها
كبعض الولايات في الهند وأفغانستان والباكستان
وأوزبكستان.

وقد ظهر في تلك البلاد أدباء أبدعوا أعمالاً
أدبية إسلامية باللغة الفارسية، إضافة إلى الأعمال
الأدبية التي أبدعوها بلغاتهم المحلية، ومن هؤلاء
الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال الذي كتب
عدة دواوين بالفارسية، منها.. أرمغان حجاز،
أسرار خودي، رموز بي خودي.

القزويني، وموضوعها تاريخ إيران منذ ظهور
الإسلام حتى عهد المؤلف المتوفى عام ٧٥٠هـ^(٢)
وظهرت قصص رمزية فلسفية مادتها إسلامية،
مثل: منطق الطير لفريد الدين عطار، وقصة
يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامي، وبعيداً عن
السطحات الصوفية والخيالات المتطرفة تبقى في
الشعر الفارسي والأدب الفارسي القديم بعامة روح
إسلامية، وتظهر في قصائد يصح أن نعتها من
الأدب الإسلامي الخالص.

ونجتزئ من هذا التراث الضخم بقصيدة
للشاعر سعدي شيرازي^(٣) قالها في رثاء بغداد بعد
أن اجتاحتها التتار عام ٦٥٦هـ. ومطلع القصيدة -
كما ترجمها الدكتور محمد غنيمي هلال^(٤) -:

حق للسماء أن تمطر الأرض دماً
على زوال الملك المستعصم أمير المؤمنين
ويقول في القصيدة:

ارفع عينيك أنت يا من رأى شوكة البيت المنيع
حيث قياصرة الروم رؤوسهم على التراب
وخاقان الصين طريح الثرى



أبو الحسن الندوي



محمد إقبال

يمثل الأدب الإسلامي في تركيا نموذجاً عالياً لارتباط أدب الشعوب الإسلامية غير العربية بالإسلام، فهو الجذر الأول للأدب التركي بعامة، وهو الذي تفرد بساحته الأدبية لعدة قرون ثم تحول إلى تيار مواز لتيارات أدبية قومية واشتراكية، وواجه أقصى ظروف التحول وصمد في وجه العلمانية حتى تجاوز ظروف المحنة، ووصل إلى وقتنا المعاصر، حيث استطاع أن يستعيد قدراً وافراً من وجوده وانتشاره.

ويذكر مؤرخو الأدب التركي أن الأتراك كانوا قبل إسلامهم قبائل تعيش حياة رعوية في الغالب، فلما دخلوا في الإسلام استقروا في مناطق الأناضول وأقاموا إمارات إسلامية ازدهرت في عهد السلاجقة، حيث بدأت لغتهم تنتقل من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين، وبدأ الأدب التركي يتشكل وينتشر.

ويقرر بعضهم أن الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي ارتحل في القرن الثامن الهجري إلى قونية - وكانت عاصمة سلاجقة الروم - وأراد أن يخاطب العوام بشعره وكانوا يجهلون اللغة الفارسية - لغة مثقفي ذلك العهد - ولا يعرفون سوى التركية، فاضطر أن ينظم شعراً بالتركية يدعوهم

صمد الأدب التركي في وجه المحنة
واستعاد قدراً من وجوده وانتشاره

إلى الزهد والتصوف... فنشأ الأدب التركي أدباً تعليمياً دينياً^(٥)، وجاء بعده في القرن التاسع الهجري شعراء آخرون عمقوا هذا الاتجاه مثل يوسف إمره وعاشق باشا وسليمان جلبي، وهذا الأخير بلغ شعره منزلة عالية بين الأتراك بفضل قصيدته المطولة في السيرة النبوية والتي ما زال الأتراك حتى اليوم ينشدونها في المناسبات الدينية في المساجد والمنازل.

وقد ظهرت في الشعر التركي أنواع عديدة من الشعر الديني. منها المدائح النبوية التي شابتها بصمات صوفية، ومنها «المحمدية» وهي على العكس من المدائح النبوية (تخلو تماماً من أية نزعة صوفية وربما اختص بها أهل السنة معارضين غلاة الصوفية)^(٦)، فهي تبدأ بالتوحيد وبالتنويه بأن الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى في أسمائه الحسنی، ثم تعرض صفات الرسول ﷺ دون مبالغات أو تهويلات، وتتبعها بصفات الخلفاء الراشدين ومكارم أخلاقهم... وربما تعرض بعض قصص الأنبياء^(٧).

ومع تطور الأدب في تركيا وتعدد فنونه وموضوعاته انتشرت الآثار الإسلامية في عدد من فنونه الجديدة وموضوعاته، فضلاً عن الفنون والموضوعات الدينية المحضة، فظهرت آثاره في الشعر الديواني، وهو مزيج من المشاعر الدينية والغزلية العفيفة، ويعد الشاعر (باقي) رائداً كبيراً من رواده^(٨) كما ظهرت الآثار الإسلامية في الشعر الفني المرسل الذي يعتمد على معان دينية أيضاً^(٩).

ومع بداية التطورات القومية في الدولة العثمانية، وظهورها نزعة قوية عند بعض الأدباء الأتراك في نهاية القرن التاسع عشر، ظهر تيار مضاد يحافظ على القيم الإسلامية ويعمقها في الأدب التركي الحديث، ويعالج مشكلات المسلمين في الدولة العثمانية المتهاوية، وقد تزعم هذا التيار الشاعر الكبير محمد عاكف أرصوي^(١٠) الذي عاصر معاناة تركيا في الحرب العالمية الأولى واحتلال جيوش الحلفاء أرضها، وسقوط الخلافة، والذي جعل شعره منبراً إسلامياً قوياً يستثير المشاعر الإيمانية في نفوس الأتراك ليدافعوا عن دينهم وأرضهم، وقد شاعت قصائده بين الأتراك بقوة. وصارت إحداها فيما بعد النشيد القومي التركي... وما زالت حتى الآن -بعد حذف عبارات قليلة منها^(١١)-، ويعد محمد عاكف رائد مدرسة أدبية كاملة، حملت هموم المسلمين في تركيا وتطلعاتهم طوال الفترة الكمالية، واستطاعت هذه المدرسة أن تتصدى للتيار القومي والعلماني، وأن تحافظ على النسيج الإسلامي في الأدب التركي، وأن تعززه.

ومن شعره الإسلامي في المحنة قصيدة بعنوان (لا يأس) افتتحها بقوله تعالى ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا القوم الضالون﴾^(١٢) ثم قال يحذر الأتراك من الاستسلام لليأس ويستنهضهم لإعادة مجدهم الإسلامي:

أين مني نفحة من الأمل فيك،
أتحسب أنه قد انطفأ؟

ما كان لفجر الحق الأزلي أن يُمحي
أيها الظالم!

بعد قليل ترى ما أظلم أيام غدك
ويا أيها القلب المؤمن الذي حار وهو يعبد
الحق،
إن صدرًا واحدًا فقط يعيش بدون أمل، وهو
صدر الكافر!

أيجتمع اليأس والإيمان؟
حاشا لله، وقد علمت وأيقنت أنه ضرب من
المحال؛
فلماذا إذن أذلت عنقك ووقفت مطرق
الرأس؟
ألا تشفق على ذريتك، إن لم تشفق على
نفسك؟

.....

لو أطبقت على الآفاق آلاف الكوارث،
لما انهارت هذه الأمة. ما دمنا نتجنب أن نقول:
«إنها سوف تضمحل»

ما كانت لتنهار، كلا، لن تنهار ولن تسقط!
فاقتل أنت اليأس العاوي وأيقظ العزم؛
فحسبها نفحة من الإيمان حتى تعود إلى الحياة،
فليتتشعش أملك، ما هذه الخيبة؟ وما هذا
الخسران؟

إبدأ بإسكات الآلام الماضية،
وبث الأمل القوي في أبنائك؛
وتوكل على الله واعتصم بحبل السعي واخضع
للحكمة...

هذا هو الطريق، ولا أعرف صراطاً مستقيماً
سواه.

.....

الأدب الإسلامي في اللغة الأردية:

وإذا انتقلنا إلى الأدب الأردّي الذي ينتشر بين ملايين المسلمين في شبه القارة الهندية، وبين مئات الألوف المهاجرين منها إلى آفاق العالم، فسنجد صورة أخرى للعلاقة الحميمة بين الأدب الإسلامي، تناظر زميلتها التركية، وتكاد تفوقها لولا قرب العهد بهذا الأدب.

ارتبط الأدب الأردّي بالقيم الإسلامية وواجه تحديات ثقافية متعددة

ذلك أن اللغة الأردية قد تشكلت في صورتها الحالية في القرن الحادي عشر الهجري، وكانت قبل ذلك لغة محلية متأثرة بالهندية القديمة، ثم تأثرت بالحضارة الإسلامية وباللغة العربية التي انتقلت إليها مع الإسلام، وبالفارسية أيضاً، وعندما احتل الإنكليز الهند وفرضوا ثقافتهم عليها دخلت اللغة الأردية عناصر من اللغة الإنكليزية أيضاً. غير أن الآثار العربية هي أقوى الآثار فيها، فقد استفادت الأردية من العربية في قواعدها وعروضها وحروف الكتابة، وفي بعض الجوانب البلاغية، وفي عدد كبير من الألفاظ، مباشرة أو عن طريق الفارسية التي نقلت من العربية، واستفادت من اللغة

الفارسية في تلك الجوانب أيضاً ولكن بقدر أقل (١٣).

وقد أصبحت الأردية لغة الثقافة بين المسلمين بفضل الأعمال الأدبية التي كتبها عدد من الأدباء البارعين، أمثال ميرزا غالب والسيد أحمد خان ومحمد حسن آزاد ومنشي سجاد حسين وألطاف حسين «حالي» ومحمد إقبال... إلخ إضافة إلى الكتابات الفكرية والإسلامية التي كتبها الدعاة والمصلحون (١٤).

وقد ارتبط الأدب الأردّي بالقيم الإسلامية من خلال أوضاع المسلمين في الهند، والتحديات السياسية والصدام مع الهندوس والتحديات الثقافية الغربية، وكان عدد من الأدباء الكبار منهمكين في القضايا السياسية ومهتمين بإصلاح أوضاع المسلمين وتعزيز العقيدة فيهم، وإغنائهم بالثقافة الإسلامية، فجعلوا إبداعهم الأدبي منبراً من منابر التوجيه الإسلامي الحي. وساعدتهم في ذلك مواهبهم الكبيرة، فأبدعوا أعمالاً أدبية إسلامية، انتشرت بقوة بين المسلمين وأثرت فيهم تأثيراً قوياً، ومن تلك الأعمال: المنظومة المطولة «مسدس» للشاعر أطفاف حسين الملقب بـ(حالي) (١٥) التي يستعرض فيها واقع الحياة قبل البعثة النبوية، والجاهلية القائمة فيها، وسوء أحوال الإنسان، ثم يعرض الانقلاب الهائل الذي أحدثه الإسلام في الحياة، وظهور الحضارة الإسلامية، وأثرها في تطور الحياة الإنسانية بعامه، ثم يعرض ضعف المسلمين وانشغالهم بأمور

معرفتنا بآداب الشعوب الإسلامية نادرة والترجمة إلى العربية أحد الحلول الرئيسية

شعلان ومحمد حسن الأعظمي في كتابهما (فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان)، ونجتزئ بأبيات من إحدى قصائده، وبترجمة هذين الكاتبين الثرية ثم الشعرية لها. والقصيدة بعنوان «شكوى» يتجه فيها إلى الله سبحانه وتعالى، شاكياً ما أصاب المسلمين من تخلف وفرقة وضعف بعد أن كانوا بناة الحضارة ورواد الأمم.

نراه في مطلع قصيدة شكوى يصور أشجانه وآلامه، ثم يوجه العتب الميرر إلى نفسه واستسلامها للمحن^(١٩)، ثم يناجي الله عز وجل، وفي فمه التراب، ليعلن صرخة المسلمين ويحار بدعواتهم، يقول:

«رباه إليك شكوى عبيدك الأوفياء الذين لم يتعودوا إلا إزجاء الحمد وترتيل الثناء.

لقد كانت الدنيا قبل هذا الدين الإسلامي عالماً تسوده الوثنية وتحكمه الأصنام، وفي بقاع هذا المعمور كانت سجدات هذا الإنسان لا تعرف غير الأوثان، ولم يكن الإنسان يعبد غير التماثيل المنحوتة من الأحجار والصور المصنوعة من الأشجار، وحارت فلسفة اليونان وتشريع الرومان، وضلت حكمة الصين في الفلوات.

ولكن ساعد المسلم القوي قطع من الأرض

الدنيا، وتفرقهم وسقوط دولتهم، والأحوال السيئة التي أصبحوا فيها في كل قطر، وخاصة في الهند، ويدعو إلى نهضة جديدة، بالعودة الصحيحة القوية للإسلام، وبناء حضارته من جديد. وتبلغ المطولة قرابة ثلاثمائة مقطع، في كل مقطع ستة أبيات.

ومن الأدباء الذين كان لهم أثر كبير بين المسلمين في الهند، وتجاوزت شهرتهم إلى البلاد الإسلامية والعربية الشاعر الكبير محمد إقبال^(١٦).

رؤية إقبال توضح أن الشخصية المهمة مهياة لقيادة العالم

ولإقبال مكانة كبيرة في الأدب الإسلامي بغير العربية، فهو من المبدعين المتميزين الذين كانت لهم رؤية خاصة في الحياة، وكان صاحب نظرية تؤمن بأن الشخصية الإسلامية هي الشخصية المهيئة لقيادة العالم، وبناء الحضارة الصحيحة^(١٧)، كما أنه كان يدعو إلى قيام كيان إسلامي خاص لمسلمي الهند تحقق فيما بعد في قيام دولة باكستان^(١٨). وإقبال نموذج للأديب الإسلامي العالمي، فقد تجاوز شعره منطقته وانتشر بين مسلمي الهند، كما تجاوز الهند ليصبح إبداعاً إنسانياً عالمياً، وترجم إلى لغات عدة منها اللغة العربية، وقد ترجم الدكتور عبد الوهاب عزام عدداً من دواوينه شعراً، ونحنا نحوه الصاوي

شجرة الإلحاد. وأسطع على الإنسانية نوراً من التوحيد وظلاً من الاتحاد.

آداب الشعوب الإسلامية تعطي بعداً لعالمية الأدب الإسلامي وغزائره وفنائه

وبعد:

فستطول بنا الرحلة لو جئنا نستعرض نماذج من الأدب الإسلامي في الشعوب الإسلامية غير العربية... فهذه الشعوب تنتشر في مساحات واسعة من الكرة الأرضية تمتد من أندونيسيا شرقاً إلى شاطئ الأطلسي غرباً، ومن القوقاز شمالاً إلى جزر المالديف جنوباً، فضلاً عن الجاليات الإسلامية الكثيرة التي تنتشر في بلاد كثيرة، فما من مجتمع مسلم إلا وفيه أدباء يملأ الإيمان قلوبهم، ويصبغ بألوانه الزاهية إبداعاتهم الأدبية... بل ما من مجتمع مسلم إلا وفي تراثه الأدبي نصوص تدخل في نسيجها قيم الإسلام وتصوراته.

ومن المؤسف أن معرفتنا بآداب الشعوب الإسلامية قليلة، وأن حركة الترجمة من لغات تلك الشعوب إلى اللغة العربية، وبالعكس، قليلة ونادرة أحياناً، وأنا بعامة نجهل الكثير عن أحوال تلك الشعوب وتاريخها وآدابها.. وباستثناء الدارسين المختصين لا نكاد نجد أحداً يعرف شيئاً عن شعوب ما وراء النهر، وشعوب الجمهوريات الإسلامية التي استقلت أخيراً عن الاتحاد

السوفياتي، وشقيقاتها التي ما زالت مدججة في دولة الصين الشيوعية. اللهم إلا ما أبرزته الأحداث والأخبار هنا وهناك، وطبيعي والحالة هذه أن تكون معرفتنا بآداب تلك الشعوب نادرة أو معدومة.

إن النصوص القليلة التي تترجم بين الحين والآخر، وتنشر في الدوريات أو تشير إليها الدراسات تحمل تأثيرات كثيرة وقوية على وجود أدب إسلامي حي لدى الشعوب الإسلامية غير العربية كلها... والأمر في اعتقادي يحتاج إلى جهود موجهة وكبيرة؛ لتتبع هذا الأدب وإظهاره... وقد بدأت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خطوة رائدة في هذا المجال، فنشرت كتاباً عن الأدب الإسلامي التركي، وكتاباً آخر عن الأدب الإسلامي الأردني، وتعد فيما علمت لإصدار كتاب عن الأدب السواحلي، ولو أن بعض المؤسسات

مسابقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية بذرة طيبة نتمنى لها الاستمرار والتقدم

الثقافية الأخرى أسهمت في هذا العمل المتميز لكان ذلك شكلاً من أشكال توثيق الروابط بين المسلمين في أطراف الأرض. وتعريف بعضهم ببعض.

وقد نصت رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أهدافها المعلنة على هذا العمل فذكرت في المادة الثالثة من النظام الأساسي أن من أهداف الرابطة

الإسلامية، وعالمية ظهورها في أعمال أدبية تتجاوز حدود اللغات والقوميات والخريطة الجغرافية.

الهوامش:

(١) انظر مختارات من الشعر الفارسي، اختارها وترجمها ودرسها وقدم لها الدكتور محمد غنيمي هلال، ٦-٩، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥ هـ.

(٢) السابق ٣٢.

(٣) سعدي شيرازي: مشرف الدين بن مصلح، ولد في أسرة متدينة بمدينة شيراز عام ٥٩٠ هـ وتلقى العلوم الشرعية في بلده، ثم رحل إلى بغداد فدرس الفقه الشافعي في المدرسة النظامية، ثم سافر إلى الشام والحجاز وعدد من البلاد الإسلامية الأخرى، وأخذ عن شيوخ كثيرين والتقى بالادباء وعاد إلى شيراز وأقام فيها حتى مات فيها سنة ٦٩١ هـ عن عمر جاوز مائة عام.

(٤) مختارات من الشعر الفارسي ٢١٤-٢١٦.

(٥) انظر د. محمد حرب عبد الحميد، الأدب التركي الحديث والمعاصر ٣-٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥.

وانظر أيضاً: الأدب الإسلامي التركي، د. محمد عبد اللطيف هريدي، مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٧ هـ.

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن أثر الإسلام في الأدب التركي أقدم من شعر جلال الدين الرومي، فقد وصلت بعض الأساطير من القرنين الخامس والسادس الهجريين تحمل آثاراً إسلامية كبيرة، ومنها أسطورة (صاتوق بغراجان) التي تتحدث عن حاكم تركي يحمل نفس الاسم اعتنق الإسلام ودعا قومه إليه فأسلم على يديه أهل أربعمائة ألف خيمة، وتحكي الأساطير الصراع بين الإسلام والكفر الذي انتهى بانتصار الإسلام، وقد صنف تلك النصوص ضمن الأساطير لأنها تخلط الحقائق بالمبالغات والخرافات وليس لها مؤلف معروف. انظر الصفحات ١٨-٢٧ من الكتاب المذكور.

وانظر أيضاً ملامح الأدب الإسلامي التركي، إعداد علي ناز، ترجمة يوسف خلف، ملحق الأدب الإسلامي. لكنهو - الهند، العدد الأول. ذو القعدة ١٤٠٦ هـ.

وانظر عبد اللطيف بندر أوغلو. إشارات أولية في الشعر التركي ٢٠-٣٣ منشورات دار الجاحظ. بغداد ١٩٨٣ م.

(٦) الأدب التركي الإسلامي ٦٠.

(٧) السابق نفسه.

(٨) انظر علي ناز. ملامح الأدب الإسلامي التركي. ملحق الأدب الإسلامي العدد الأول ٣، الهند ١٤٠٦ هـ.

نقل الأدب الإسلامي العربي إلى لغات الشعوب الإسلامية وبالعكس، وتحقيق عالمية الأدب الإسلامي^(٢٠).

وقامت مؤخراً بخطوة عملية فأعلنت عن مسابقة لترجمة النصوص الإبداعية لأدب الشعوب الإسلامية إلى اللغة العربية، في مجالات الرواية والقصة والمسرحية والشعر^(٢١) والأمل أن تحقق هذه الخطوة - وخطوات أخرى قادمة تقوم بها مؤسسات ثقافية إسلامية أخرى وفي مقدمتها الجامعات ودور النشر - تقدماً في هذا الميدان، فتصدر ترجمات لأعمال إبداعية أدبية ودراسات عن آداب تلك الشعوب، وأن تقوم حركة ترجمة مقابلة من اللغة العربية إلى لغات الشعوب الإسلامية غير العربية؛ فتقوم جسور جديدة من المعرفة والعلاقات الثقافية بين الشعوب الإسلامية.

إن القدر المحدود المتوافر في مكتبتنا العربية من آداب الشعوب الإسلامية ومن الدراسات عنه^(٢٢) يبيح لنا أن نقول: إن الإسلام قد أثر في آداب الشعوب الإسلامية كافة، وجعل الأدباء الملتزمين به يبدعون أعمالاً أدبية إسلامية: إسلامية في موضوعاتها، أو في المواقف والرؤى التي تظهر فيها، أو في الآثار العامة التي يخرج القارئ بها...

وإن هذه الأعمال في تلك اللغات هي التي تعطي الأدب الإسلامي بُعداً الثالث، بُعد العالمية، عالمية الإبداع، وعالمية التأثير بالقيم

(٩) د. محمد عبد اللطيف هريدي. الأدب التركي الإسلامي ٩٤.

(١٠) محمد عاكف أرسوي: من أكبر شعراء تركيا في العصر الحديث، يعد بمثابة شوقي عند العرب، ولد عام ١٨٧٣م في مدينة استانبول في أسرة البانية الأصل عرفت بالتدين والثقافة، تلقى علوم العربية والفارسية والتركية منذ صغره، وبدأت موهبته في فترة مبكرة فرعاها أستاذه معلم «تاجي» وحثه على التعمق في الثقافة الدينية والأدبية، لقي محمد عاكف الشيخ جمال الدين الأفغاني وتأثر به، فشجعه الأفغاني على الاهتمام بقضايا المسلمين في شعره.

اضطرته ظروف الأسرة العادية إلى أن يدرس الطب البيطري ويعمل في ميدانه في العشرين من عمره. ولكن نشأته الثقافية وموهبته الأدبية ونشاطه الديني... كل ذلك جعله يشارك في الحركة الأدبية وينشر قصائده المتوالية فلمع نجمه باعتباره مصلحاً سياسياً وموجهاً إسلامياً حتى لقب بـ (شاعر الإسلام).

عاصر محمد عاكف الأحداث الحساسة وتأثر بها وخاصة سقوط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة فأنشأ دولة علمانية، فخرج من تركيا إلى مصر، فلقى فيها التكريم، وأسند إليه تدريس الأدب التركي في كلية الآداب بالقاهرة.

(١١) انظر د. محمد حرب عبد الحميد، الأدب التركي الحديث والمعاصر ٦٢-٦٤.

(١٢) سورة الحجر الآية ٥٦، والقصيدة من ديوانه صفحات ٤٦٣-٤٦٦، والنص منقول من كتاب: شاعر الإسلام محمد عاكف ١٤٢.

(١٣) انظر في هذه القضية: د. محي الدين الألواني: الأدب الهندي المعاصر ٨٥، القاهرة ١٩٧٢م. وأبو الليث صديقي: جامع القواعد ٢٧، لاهور ١٩٧١م. وأبو الحسن علي الحسيني الندوي: المسلمون في الهند ٣٥، دمشق ١٩٦٢م. ومحمد لقمان صديقي: في قواعد اللغة الأردية ١، القاهرة ١٩٦٣م.

(١٤) للتوسع في هذا الجانب انظر: أبو الحسن علي الحسيني الندوي. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ندوة العلماء، لكنهو، الهند. د. ت.

(١٥) ولد بمدينة قرب دلهي عام ١٢٥٣هـ في أسرة ترجع إلى أصول عربية، وحفظ القرآن في صغره، ودرس الفارسية والعربية، وانتقل إلى دلهي، فدرس في بعض مدارسها الإسلامية، والتقى بكبار العلماء والأدباء ودعاة الإصلاح، وتأثر بحركة السيد أحمد خان، وشارك في الحركة الأدبية والإصلاحية، وعمل في بعض الوظائف التعليمية الخاصة والرسومية، وشارك في كثير من المؤتمرات الأدبية، واشتهر بقصائده التوجيهية، وتوفي عام ١٣٣٠هـ.

(١٦) ولد محمد إقبال عام ١٨٧٧ بمدينة سيالكوت بمقاطعة البنجاب، وكانت أسرته من البراهمة في كشمير، أسلم جده الأعلى قبل مائتي سنة، وعرفت الأسرة بالتدين والصلاح، تركت آثاراً في شخصيته وتوجهه إلى الثقافة الإسلامية، أتم دراسته الجامعية في لاهور، وحصل على الشهادة في الفلسفة وظهر تفوقه في العربية والإنكليزية.

تابع دراسته العليا في جامعة كمبرج وجامعة ميونخ وحصل على الدكتوراه، درس الأدب في جامعة لندن ثلاث سنوات، ودرس السياسة والاقتصاد والقانون، ثم عاد إلى بلده وعمل في المحاماة، وفي الدفاع عن حقوق المسلمين، وأسهم في الحركة الأدبية... ذاعت قصائده، ونالت شهرة واسعة بين المسلمين في الهند. زار عدداً من البلاد العربية والإسلامية وحضر مؤتمرات كثيرة، وانتقلت شهرته إلى الآفاق الأدبية والسياسية العالمية... تميز شعره

بمعالجة قضايا المسلمين المحلية والدولية، مع الاعتداد بالشخصية المسلمة وقيمتها الرفيعة واليقين المطلق بأنها القادرة على سعادة العالم وصنع الحاضرة... من أهم دواوينه بالأردية: بانك درا، بال جبريل، ضرب كليم.

(١٧) انظر: روائع إقبال ٨٣.

(١٨) فلسفة إقبال ٣٥.

(١٩) فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان ٧٧-٨١، والترجمة الشعرية للمؤلفين، وقد أتبعها بترجمة شعرية للقصيدة نفسها، وقد أثرت أن أنقل الترجمة الشعرية لأنها أكثر دقة في النقل، رغم أن الترجمة الشعرية أكثر جمالاً.

(٢٠) انظر: النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ٦.

(٢١) انظر: مجلة الأدب الإسلامي العدد الأول، رجب ١٤١٤هـ، صفحة الغلاف الداخلي.

(٢٢) نشير هنا إلى الجهود الطيبة التي يبذلها بعض الأساتذة في أقسام اللغات الشرقية في الجامعات العربية في ترجمة بعض النصوص الأدبية من أدب الشعوب الإسلامية، وإخراج دراسات منهجية عنها، وفي مقدمتهم الأستاذ الكبير الدكتور حسين مجيب المصري، الأستاذ بجامعة عين شمس سابقاً والذي أصدر الدراسات التالية:

١ - في الأدب الإسلامي، فضولي البغدادي أمير الشعر التركي القديم، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٧م.

٢ - رمضان في الشعر العربي، الفارسي والتركي. دراسة في الأدب الإسلامي المقارن مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٥م.

٣ - الصحابي الجليل سلمان الفارسي عند العرب والفرس والترك، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م.

٤ - الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري عند العرب والترك، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤م.

٥ - هدية الحجاز. ترجمة لمنظومة إقبال (أرمغان حجاز)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م.

٦ - إقبال والقرآن. دراسة قرآنية مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م. وكذلك الفصول التي يخصصها بعض أساتذة الأدب المقارن لأدب الشعوب الإسلامية ومنها فصول في الكتب التالية:

- دراسات في الأدب المقارن. د. بديع محمد جمعة، ط ٢، دار النهضة المصرية ١٩٨٠م.

- في الأدب المقارن. د. محمد عبد السلام كفاقي. دار النهضة العربية ١٩٧٢م.

- الأدب المقارن. د. طه ندا، دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

- مطالعات في الأدب المقارن، د. عدنان محمد وزان، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ.

وقد ركزت الدراسات السابقة على إسلامية النصوص التي ساقتها والآثار الإسلامية في الآداب التي درستها.



رمضان!..

ما لك في الشهور مثل...

شعر: يس الفيل

رمضانُ جئت .. فما عساي أقولُ
عامٌ مضى .. غفت القلوبُ، وأجذبت
واستنفرتنا للمباهج أنفسُ
لا صيحة الإيمان أيقظت الربا
كلا .. ولا اقتلع اليقين مضاجعاً
.. الكل نام عن الحقيقة لاهيا
وتجىء .. يفجؤنا المجيء .. كأنها
ونلوذ بالتقوى، ونلتمس الهدى
أتراك تشفع للذين تنكبوا
أنا لا أشك .. وإن يكن عصف الهوى

والدمعُ من ألم الفراق يسيلُ؟
همم .. وأنكرت الثمار حقولُ
مالت مع الأهواء حيث تميل
لترى ظلام الليل حين يزول
ألفت سباتاً، دب فيه ذبول
والعام في طرق الزمان يجول
ركضت على فرس النيام خيولُ
بك .. يا أجل من اصطفاه جليلُ
واستبعدتهم عن سناك ميولُ؟
بالقلب .. لكن: شَرَحُ ذاك يطولُ

رمضانُ جئت .. فما لمثلك روعة
تأتي .. فينطلق الرجاء .. مؤملاً
وتشدنا الدنيا لمعترك الهوى
.. حتى إذا ارتفعت يدك تحيةً
أتراك تقبلنا .. جداولُ أجذبت

أبدا .. ولا لك في الشهور مثلُ
أن لا يضل عن القطيع فصيلُ
فنخر صرعى .. قاتل .. وقَتيلُ
عدنا .. وعاد صباحنا المأمولُ
ورباً ذوت، وبها استبد نُحولُ؟

وتشدنا مما يبدد عزمنا إن شدنا للحب منك رسول؟
أنا لا أشك .. فأنت حين تحيُّنا يهتزُّ شوقاً للعطاء بخيل
ويغادر العصيانُ قبو ضلاله ويعزُّ بالإسلام فيك ذليل

رمضانُ جئت .. وفي مجيئك فرحةٌ ليست بها - أبداً - تحيط عقولُ
هي فرحةُ الغرقى بحصن نجاتهم من بعد عَذْوٍ أتعبته سُيُولُ
هي فرحةُ الأمناء، يصعدُ صَوْمُهُمْ لله، يطمع أن يتم قَبُولُ
هي فرحةُ فوق المآذن، ينتشي يفوضها - عند الأذان - قَبِيلُ
هي فرحةٌ بالأجر، يرفعُ كِفَّةً إن لفنا عند الحساب دُھُولُ
هي فرحةٌ .. أنا نصومُ نهارنا والله جلَّ بمن يصومُ كَفِيلُ
والصومُ يا رمضانُ - كان ولم يزل أمل القلوب، به يصح عليلُ
فلتأتِ بالبشرى لأكرم أُمَّةً في الأرض، كرمها بك التنزيلُ
ولك التحية .. ما أقمت بأرضنا ولك التحية .. ما احتواك رحيلُ

نعي

تنعي رابطة الأدب الإسلامي العالمية رائد
القصة الإسلامية الدكتور نجيب الكيلاني الذي
توفاه الله بعد مرض عضال في يوم الإثنين ٥ شوال
١٤١٥ هـ الموافق ٦ آذار (مارس) ١٩٩٥ م.

(إنا لله وإنا إليه راجعون)

مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين

د. أحمد محمد علي حنطور

لن المسلم به أن مصطلح الأدب الإسلامي - كمذهب أدبي - قد استقر وجوده بين أيدي الدارسين، وتلك بدهية تنطق بها بحوثه العديدة ومناهجه المتعددة ونصوصه المتجددة منذ أن نادى به دعائه إلى اليوم.

الاستقرار والقبول.

مفاهيم متعددة:

إننا نجد مفهوم الأدب الإسلامي لدى الدارسين بدور حول أحد المفاهيم الآتية:

١ - فهو يطلق حيناً ويراد بالإسلامية فيه الحدود الزمانية لعصور الإسلام الأولى، ومن ثم فالمراد به: أدب صدر الإسلام، وذلك نراه في تلك الدراسات التي ظهرت متقدمة في العصر الحديث قبل شيوع مصطلح الأدب الإسلامي وإطلاقه على المنهج في الكتابة، مثل كتاب دراسات في الأدب الإسلامي لمحمد خلف الله أحمد^(٢)، ودراسات في الأدب الإسلامي لسامي مكّي العاني^(٣)، ومن أدب الدعوة الإسلامية لعباس الجراري^(٤)، وغيرهم.

٢ - وهو يطلق ويراد به الأدب ذو المنحى الإسلامي في التصور والتصوير أو المذهبية الإسلامية في الأدب، وهذا هو المقصود لدينا عند الإطلاق. بيد أننا

جهة الوصف أو مدى النسبة، أعني بذلك أن يطلق ويراد بالإسلامية فيه الاتفاق مع قيم الإسلام ومبادئه، وعلى قدر يتيح له الالتقاء معه، أو ضرورة أن ينطلق ذلك من قاعدة إسلامية يقينية لدى المنشئ أو الأديب.

وبدهي أنه عند اختلاف الآراء فإن المنظور الجدير بالاحتكام إليه والسماح لما يبيده من قول وخطاب في هذا الموقف هو ما كان نابعاً من داخل موضوع الخلاف قادماً من أعماقه البعيدة، ملتقياً مع طبيعته دون أن يكون صدقاً لمواقف خارجية تفرض عليه، وإن كانت رسالته لا تحول دون الإصغاء لهذا الصدى على سبيل الاسترشاد والتوجيه، وإذا ما تمتع هذا المنظور بقدر كبير من الموضوعية والحياد ونشدان الحقيقة في وجهها المشرق الأصيل فقد أضاف لنفسه مع نبل التوجه صواب المقصد، ومن ثم تأتي أهمية الاحتكام إلى المنظور الأدبي - بموضوعية - في تحديدنا لمفهوم الأدب الإسلامي، ومن ثم إلى

لكن مفهوم المصطلح - فيما يبدو - لم يستند بعد إلى تعريف جامع مانع كما يقولون. وليس ذلك بأمر مستغرب أو بقول يدفع بعضه بعضاً، فكثير من العلوم الإنسانية لم تصل إلى هذا التحديد الذي وصلت إليه العلوم المادية البحتة. وما إشكالية الأدب المقارن وعدم استقراره على مفهوم محدد لدى الدارسين عنا ببعيد، مما دفع أحد الباحثين فيه إلى القول بأنه «إذا كانت هناك نقطة واحدة يتفق عليه جميع الدارسين للأدب المقارن، فهذه النقطة هي الإجماع على أن تعبير الأدب المقارن ليس بالتعبير المضبوط فليس هناك تعريف له يمنع من تصادم الأفكار وتعارض المذاهب وتنقاض الاتجاهات»^(١).

وأبادر فأنبه إلى أن الأمر لا يصل إلى هذا الحد بالنسبة لمصطلح الأدب الإسلامي، ذلك أن إشكالية الأدب المقارن تأتي من طبيعة الوصف أو المنسوب إليه، أما ما يبدو من خلاف في مصطلح الأدب الإسلامي فهو يأتي من